مولانا الشيخ محمد عادل الربّاني

لا تعطي قيمة للدنيا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا

في الآية التي تلوناها في الخطبة، يخبرنا الله عز وجل بأنه زيّن هذه الدنيا. فكل شيء فيها جميل؛ بل إن كل ما خلقه الله عز وجل جميل، فقد خلق ﷻ كل الأشياء بنظامٍ مُحكم وتقديرٍ دقيق. لقد صاغ الله ﷻ هذا العالم في أبهى صورة، لكن الإنسان أفسده بأفعالٍ لا يرضى عنها الله ﷻ. ونتيجةً لذلك، فقدت الدنيا رونقها وبهاءها. وعلاوةً على ذلك، يبين الله عز وجل أنه عند اقتراب يوم القيامة، سيجعل ﷻ كل شيءٍ فيها أرضاً قاعاً صفصفاً، أي "صَعِيدًا جُرُزًا". و"الصعيد الجرز" يعني أرضاً لا جبال فيها ولا تلال ولا وديان؛ أرضاً خالية تماماً، لا عشب فيها ولا نبات ولا أشجار، حيث سيجعلها ﷻ قاحلةً وموحشةً بالكامل.

.

ومن خلال هذا البيان — بأن شيئاً لن يبقى في هذه الدنيا — يوجه الله عز وجل البشر ألا يتعلقوا بها أو يمنحوها قيمةً أكبر مما تستحق. فليس الأمر مقتصرًا على أن كل شيءٍ سينتهي بالنسبة للفرد عند رحيله عنها فحسب، بل إن الدنيا ذاتها ستزول في نهاية المطاف، وستختفي كل زينتها ومظاهرها تماماً. وكثيرًا ما يتوهم الناس، خلال سنوات حياتهم القليلة، أن هذه الدنيا باقيةٌ إلى الأبد وأن أحوالها لن تتغير؛ لكن الله عز وجل يؤكد أن هذه الدنيا، والبشرية جمعاء، ستؤول جميعاً إلى الزوال. وبعد ذلك، تبدأ الحياة الحقيقية الأبدية.

.

وفي هذا السياق، يأتي الحديث الشريف لنبينا الكريم صلى الله عليه وسلم "الدُّنيا سِجنُ المُؤمِنِ، وجَنَّةُ الكافِرِ". يُقال إن الدنيا بالنسبة للمؤمن سجن؛ فإذا ما قورنت بالآخرة، فإن أكثر حياة دنيوية رغدًا تبدو وكأنها سجن. أما بالنسبة للكافر، فهي جنة؛ إذ خدعته الدنيا واستغرق فيها تمامًا، ظانًا أن كل ما فيها ملكٌ له. يتباهى قائلاً "لقد فعلتُ كذا وكذا، أنا أتمتع بالقوة، وأملك الكثير من الثروات والممتلكات والأتباع". ومن وجهة نظره، تُعد هذه جنة. وحتى لو عاش الكافر في أسوأ الظروف في هذه الحياة -بل حتى لو مات جوعًا- فإنها تظل "جنة" إذا ما قورنت بما ينتظره من مشاقّ في الآخرة؛ فالعذاب في الآخرة عظيمٌ جدًا بالنسبة للكافرين الذين يفتقرون إلى الإيمان، ولهذا تُعتبر الدنيا جنةً لهم.

.

مولانا الشيخ محمد عادل الرباني

وفي إحدى المرات، كان الشيخ عبد القادر الجيلاني يسافر برفقة مريديه وهو يمتطي حصانًا، فاقترب منه رجلٌ مسنٌّ من غير المسلمين، وأمسك بلجام الحصان وسأله "كيف تقول إن الدنيا سجنٌ لكم، بينما هي جنةٌ لنا؟". فأجابه الشيخ عبد القادر الجيلاني "عندما ننظر إلى الدنيا في ضوء الآخرة، نجد أن كل ما فيها لا يساوي شيئًا؛ لذلك فهي أشبه بالسجن. أما بالنسبة لكم، فإن واقعكم الحالي يُعد جنةً إذا ما قورن بما ينتظركم في الآخرة". وما إن سمع الرجل ذلك حتى اعتنق الإيمان ونال النجاة. فمن آمن فقد نجا، أما من لم يؤمن، فالخيار -وما يترتب عليه من عواقب- يعود إليه وحده. لذلك، ليس من الحكمة أن يولي المرء أهميةً كبيرةً لمتاع الدنيا الزائل؛ ليس من الجيد أن يغتر الإنسان بالدنيا، أو أن يسعى وراءها. إن الله ﷻ يؤتي ما يشاء. أما ما لا يمنحه ﷻ، فالله ﷻ أعلم. كل ما قُدِّر للعبد -أي قسمته- سيقع لا محالة. نسأل الله ﷻ أن يرزقنا من قسمتنا ما كان خيراً وبركة، وألا يجعلنا نغترّ بهذه الدنيا، إن شاء الله. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
20 تشرين الثاني 2026/ 10 جمادى الآخرة 1448
ليفكا، قبرص